

السيرة - الشمائل المحمدية ٢٠١٠ - الدرس (٠٩ -) : حلاوة منطلق النبي عليه الصلاة والسلام
لفضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٠-٠٦-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا
من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

تجمل النبي عليه الصلاة والسلام :

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في دروس
الشمائل المحمدية، ومع الدرس التاسع
من هذه الدروس، ولا زلنا في تجمل
النبي عليه الصلاة والسلام، ولا بد من
كلمة بين يدي هذا الموضوع، هذه
الكلمة ملخصها أن هذا الإنسان الأول
رتبة هو مثل أعلى لنا في كل علاقاته،
في كل حركاته، في كل شؤونه، فحينما
نتحدث عن النبي عليه الصلاة والسلام



الجمال حاجة أساسية في الإنسان

لأن الله عصمه من أن يخطئ في أقواله، وفي أفعاله، وفي إقراره، هو المثل الأعلى، هو قمة
الكمال البشري، فالحديث عن شمائله منهج لنا، بل إن المؤمن الصادق في كل شؤون حياته هو
النبي عليه الصلاة والسلام، إذا دخل البيت والطعام ليس جاهزاً ماذا يفعل؟ أي في كل الشؤون
التي يعيشها الإنسان كان عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى.

نحن ما زلنا في تجمل، الحقيقة أن الجمال حاجة أساسية في الإنسان، فأنت إذا رأيت إنساناً نظيفاً،
كلامه نظيف، أفكاره واضحة، معاملته لطيفة، رحيماً، صادقاً، أميناً، هذا الذي يشدك إلى الدين،
وأكبر طريق للدعوة أن تكون أنت كاملاً فقط، لأن الصدق وحده دعوة، والأمانة دعوة، والرحمة
دعوة، والشجاعة دعوة، وأن تقف موقفاً حازماً دعوة، فالإسلام عظمته أن المسلم يتمتع بمكارم
الأخلاق.

إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحبّ الله عبداً منحه خلقاً حسناً.

الأخلاق هي الكلمة الفاصلة بين المؤمن والمنافق :



صدقوا أيها الأخوة أن الكلمة الفاصلة بين المؤمن والمنافق الأخلاق، لأن الله عز وجل حينما أتى على النبي عليه الصلاة والسلام، أتى على خلقه، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم: ٤]

فكان النبي عليه الصلاة والسلام فصيحاً بليغاً:

((أنا أفصح العرب بيد أي من قريش))

[أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري]

وقريش أفصح قبائل العرب، حتى في هذه العبارة سماها العلماء تأكيد المدح بما يشبه الذم، وكان كلامه فيما يسمى اليوم بالسهل الممتنع، واضح لكن لا تستطيع أن تقلده، لذلك كلما ضعفت لغة الإنسان جاءت عبارته معقدة، كلما ضعفت لغة الإنسان جاءت الجملة معقدة، وكلما قوي في اللغة جاءت الجملة بسيطة واضحة، كيف أنك تستنشق الهواء ببساطة، كيف أنك تشرب الماء، كذلك عبارة النبي عليه الصلاة والسلام، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، العبرة أن يُمكن هذا المعنى في نفس المستمع، العبرة لا أن يتكلم سريعاً كان كلامه موزوناً، كان هادئاً.

صفات كلام النبي عليه الصلاة والسلام :

١ - كان النبي يتكلم بكلام فصل لا هذر ولا نزر :

كان النبي عليه الصلاة والسلام فيما يروى عنه أنه يتكلم بكلام فصل لا هذر ولا نزر، لا في إيجاز مغل ولا في إطناب ممل، أحياناً تلتقي بإنسان حديثه في إطناب، لكنه ممل، يقول لك: قابلت الوزير وقبل أن أدخل عليه كان بمكتبته أشخاص، أحدهم يتحدث مع الآخر، هذا الكلام كله لا يعنيني، حينما قابلته ماذا قال لك؟ يأتي بتفاصيل وجزئيات تعد عبئاً على الموضوع، فعندنا إيجاز مغل، وعندنا إطناب ممل، فكان النبي عليه الصلاة والسلام، يتكلم بكلام فصل لا هذر ولا

نذر، ويكره الثثرة في الكلام والتشدد به، التشدد تصنع الفصاحة، مثلاً: ما لكم تكأتم عليّ كتكأؤكم على ذي جنة، افرنقوا عني.

٢ - يكره التنطع في الكلام والتكلف في فصاحته :

هذه فصاحة مفتعلة، ممجوجة، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يكره التنطع في الكلام والتكلف في فصاحته، كان كلامه بسيطاً عذياً، بلا تكلف، بلا تصنع، بلا تشدد.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ))

[الترمذي، وأبو داود وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

هناك رجل البلاغة عنده هدف، موضوع المعنى بالدرجة الثانية، لا بد من أن يعرض فصاحته على الناس، سبحانه الله كل إنسان يتكلف الفصاحة تصبح هذه الفصاحة ممجوجة مرفوضة، كان النبي عليه الصلاة والسلام فصل لا هذر - لا في كلامه إطالة مملة - ولا نزر - ليس في كلامه إيجاز مخل - يكره الثثرة في الكلام والتشدد به، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يكره التنطع في الكلام والتكلف في فصاحته.

٣ - لا يخل ولا يمل :

شيء آخر من أروع ما قيل في كلام النبي عليه الصلاة والسلام، أنه إذا خطب لا يخل ولا يمل، لا يخل لا يأتي كلامه ناقصاً غير واضح، ولا يمل من إطالة وتكرار، ودائماً الفصاحة بين طرفين إما إيجاز مخل أو إطناب ممل.

الآن عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمْرَةَ قَالَ:

((كُنْتُ أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْداً - معتدلة - وَخُطْبَتُهُ

قَصْداً - أي معتدلة))

[رواه مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمْرَةَ]

لا في كلامه إطالة مملة ولا كلام قليل لا تفهم منه شيئاً، أعرابي قال للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله عطني ولا تطل، فتلا عليه قوله تعالى: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ"، فقال هذا الأعرابي: قد كفيت. أي أصبح فقيهاً.

المحاسبة غير المعقولة شيء مستحيل فالإنسان عليه أن يسدد و يقارب :

والله أيها الأخوة، أحياناً آية واحدة تكفيك، مثلاً:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[سورة النساء: ١]

الإنسان أحياناً يُبلغ أن هاتفك مراقب، يضبط كلامه ضبطاً يفوق حدّ الخيال،

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

ألا تكفي هذه الآية؟ آية ثانية:

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ

وَمَمَاتُهُمْ سَاءً مَا يَحْكُمُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٢١]

روى الإمام أحمد وأبو داود عن الحكم

بن حزن الكوفي قال:

((وَقَدْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ

— دقة الرواية أي معه ستة — فَدَخَلْنَا

عَلَيْهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ زُرْنَاكَ فَادْعُ

اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَأَمَرَ بِنَا أَوْ أَمَرَ لَنَا

بِشَيْءٍ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّانِ إِذْ ذَاكَ دُونَ

فَأَقَمْنَا بِهَا أَيَّامًا شَهَدْنَا فِيهَا الْجُمُعَةَ مَعَ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَا أَوْ قَوْسٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ

خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ

سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا))

[أحمد وأبو داود عن الحكم بن حزن الكوفي]

أي سدّدوا وقاربوا، مثلاً أنت مضطر أن تتظف بيتك، قد تجد نملة وراء بعض الأواني، إذا كانت هذه النملة ميتة تلغي تنظيف البيت، أي موضوع الاستقامة المطلقة فوق طاقة البشر، أحياناً فرن يحمل عامل كيس طحين، قد ينزل من هذا الطحين شيء قليل جداً، الشيء المطلق ليس من صفات الإنسان، لذلك سدّدوا وقاربوا، أحياناً يصب لك في مركبتك الزيت حينما ينتهي هذا الوعاء، لكن لو أبقيته نصف ساعة هناك زيت لم ينزل بعد، المحاسبة غير المعقولة شيء مستحيل، هذا معنى كلام النبي عليه الصلاة والسلام:

((لَنْ تَفْعَلُوا كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا))

أي أنت يا بائع الزيت هل أعطيت صاحب المركبة كل الزيت؟ لا هناك قسم بقي في أطراف الوعاء من الداخل، أما لو أبقيت هذا الوعاء ساعة تجد كأس شاي قد ملئ، القصد أن الله يريد ورعك وطاعتك له، أما الشيء المطلق فوق طاقة البشر.

كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً فالكلام الموجز بليغ :



كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً فأوجز في كلامك

شيء آخر سيدنا الصديق له كلمة رائعة جداً، قال: "إيّاك وكثرة الكلام، فإن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً". لذلك الكلام الموجز بليغ، لي صديق كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينيه، كان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي مالا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً عن سلطان

الجهالة، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم، وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا تكلم بذّ القائلين، وكان يُرى ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جدّ الجدّ فهو الليث عادياً، أي إذا تحدثت في موضوع واحد مركز، له مقدمة، له عرض، له تشويق، مع أدلة وشواهد وقصة تؤكّد، وخاتمة، وانتهى، هناك خطة، هناك كلام مركز.

مرة نقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: نعم الإدام — أي أطيب مادة دسمة، أطيب طعام يا ترى اللحم؟— الجوع.

أن تكون جائعاً، إذا كنت جائعاً أي طعام تراه أطيب طعام على الإطلاق، منهج، كل واحد منكم يقول: أكلت طعاماً ما ذقت مثله في حياتي، هو أكل عادي جداً لكن كنت جائعاً، نعم الإدام الجوع، أي أطيب طعام تأكله أن تكون جائعاً فقط.

تناقض التعالي والكهنوت والهيبة المفتعلة مع الكمال :

وروى الطبراني والبيزّر عن جابر:

((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الوحي أو وعظ قلت: نذير قومٍ أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه كذلك رأيته أطلق اللسان وجهاً وأكثرهم ضحكاً وأحسنهم بشراً))

[الطبراني والبيزّر عن جابر]

كان النبي عليه الصلاة والسلام مرحاً، يبتسم دائماً مع أصحابه، لذلك ورد نص دقيق جداً: "الوقار في البستان من قلة المروءة"، أي أنت في نزهة، من خصائص النزهة أن تكون مرحاً، أن



كن مرحاً ولطيفاً في النزهة

تكون لطيفاً، أي من كان معك تكلم أحدهم بطرفة فضحكوا جميعاً اضحك معهم، التعالي، والكهنوت، والهيبة المفتعلة، هذه تتناقض مع الكمال، فكان النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه كأنه واحد منهم.

مرة جاء رجل إلى مجلس النبي عليه الصلاة والسلام ونظر فيهم، قال أيكم محمد؟ والله يتكلم في هذا النص سنة، ليس له ثياب خاصة؟ أبدأ، مقعد خاص؟ أبدأ، مع أصحابه، أيكم محمد؟ طبعاً هذا النص له عدة روايات، إحدى رواياته: قال النبي الكريم: أنا، هناك رواية ثانية، قال له صحابي جليل: ذاك الوضيء، ألا تكفيه فخراً؟

بالمناسبة، في معركة بدر كان أصحابه حول ألف وزيادة، والرواحل ثلاثمائة، فالنبي هو قائد الجيش، زعيم الأمة، أصدر توجيهاً، قال: "كل ثلاثة على راحلة - يتناوبون عليها - وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، جعل نفسه كأحد الجنود، ركب الناقة فلما جاء دوره في المشي توسلا أصحابه أن يبقى راكباً، قال: ما أنتما بأقوى مني على السير - كان رياضياً - ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر".

تأثير النبيلالكريم في قلوب السامعين إذا وعظ وتطيب نفوسهم :

كان عليه الصلاة والسلام إذا وعظ أثر في قلوب السامعين، وطيب نفوسهم، حتى إنهم لتذرف دموعهم، وترق وتخضع قلوبهم، ويرتقي حالهم إلى المشاهدات والمعانيات. كان مجلس النبي مجلس علم وأدب، فعن حنظلة الأسيدي قال وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((القيتي أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافع حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت تكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات فسينا كثيراً قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا))

هذا من تواضعه، أحياناً يشكو لك إنسان زوجته، فترد عليه: والله أنا عندي زوجة لا يوجد منها، هذا سوء أدب، شكا لك أولاده، تقول له: أنا عندي أولاد قمة في الكمال، ليس من الأدب إذا إنسان

شكا لك شيئاً أن تعطيه العكس، هذا يولد الازدراء ويشيع الحزن في قلبه.

((فأنتلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافع حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما



المؤمن في إقبال وإدبار

حلاوة منظر النبي عليه الصلاة والسلام

ذَٰكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تَذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافِسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافِحَتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ فَرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

[مسلم عن حنظلة الأسدي]

هذا منهج، نحن المؤمنون ساعة وساعة، لكن إياكم ثم إياكم ثم إياكم أن تتوهموا أن ساعة طاعة وساعة معصية، لا ساعة تألق وساعة فتور، مقام المؤمنين ساعة وساعة، مقام الأنبياء تمام أعيننا ولا تمام قلوبنا، فرق كبير بين المقامين، المؤمنون يتفاوتون؛ ساعة إقبال وساعة عدم إقبال، أو ساعة إقبال وأربع ساعات عدم إقبال، أو خمس ساعات إقبال وساعة عدم إقبال، أي النفوس لها إقبال ولها إدبار، إذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاحملوها على الفرائض، بحالة الإدبار أد الفرائض تكن أعبد الناس، مع الإقبال صلّ قيام الليل لك أجر.

طبعاً هذا الكلام درس لنا، أنت في بيت من بيوت الله تتلقى درس علم، لك حال مع الله، تحس بسعادة، وأنت والجنة كهاتين، لكن في البيت هناك ضجيج أحياناً، هناك شيء لم يتحقق، الطعام لم يكن جاهزاً، عليك ضغط عمل كبير جداً، المواعيد متضاربة، فقد تتألم، فحالك في البيت غير حالك في المسجد، وكأنك في المسجد في ضيافة الله، "إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمّارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني، وحق على المزور أن يُكرم الزائر".

للمؤمن ميزات لا يعلمها إلا الله عز وجل :

أحياناً الله عز وجل يكرمك بالحكمة:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٩]

يكرمك بالحلم، كاد الحليم أن يكون نبياً، أحياناً يكرمك بالرضا، راض عن الله، راض عن بيتك، عن أهلك، عن أولادك، أحياناً يكرمك بالتفاؤل فلا يوجد تشاؤم، أحياناً تجلس مع إنسان لا تستطيع أن تقف بعد هذا اللقاء، وإنسان آخر راض عن الله، أنا أقول: يجب عليك - والله أعلم - إذا دخلت بيتاً من بيوت الله كما علمنا النبي عليه الصلاة



في بيت الله ضيافة تساوي الدنيا وما فيها

والسلام أن تقول إذا دخلت:

((اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ))

[مسلم عن أبي حميد]

أنت الآن في بيت من بيوت الله، في ضيافة الله، طبعاً لا يوجد ضيافة مادية، تجلس على الأرض، لا يوجد شراب ولا عصير ولا أكالات معينة، لا يوجد شيء، هناك سجاد أنت جالس على الأرض، لكن والله أيها الأخوة، قد يقدم لك ضيافة تساوي الدنيا وما فيها، أنك مستقيم، أنك تحب الله، أنك عرفت الآخرة، أن الله جعلك حليماً، حكيماً، رحيماً، بيتك منتظم، محبوب، ما عندك كلمة غلط، لا يوجد مزاح فاحش إطلاقاً، لا يوجد موقف فيه تردد، للمؤمن ميزات لا يعلمها إلا الله، لكن قد يغفل عنها الإنسان.

مرة قرأت لسيدنا عمر كلمة قال: كان إذا أصابته مصيبة، قال: الحمد لله ثلاث مرات، الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها، كلام دقيق، لم تكن في ديني، مصيبة في المركبة نصلحها، تلف شيء في البيت نجده، لكن ليست في الدين. الحمد لله ثلاث مرات: الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها.

شفافية النبي عليه الصلاة والسلام :

أيها الأخوة الكرام، يتحدثون عن كلمة، مصطلح جديد، اسمه الشفافية، مصطلح الآن رائج جداً والكل يتكلم بالشفافية، لكن أقدم لكم لقطة من الشفافية، النبي عليه الصلاة والسلام دخل مرة لبستان فرأى ناقه، فحنت لما رأته، فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ " فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنْكَ تُجِيعُهُ وَتُدْنِبُهُ))

[أبو داود عن عبد الله بن جعفر]



المؤمن شفافيته عالية

هذه شفافية عالية جداً، والله أحياناً إذا ضرب إنسان هرة، تبتعد عنه، وتتنظر إليه وكأنها تعاتبه، الإنسان كلما ارتقى عنده شفافية عالية، حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: "إن حجراً كان يسلم علي"، المؤمن يتجاوب مع الطبيعة، قطرة ماء تعني عنده شيئاً كثيراً، نبتة صغيرة، هناك شخص رأى نبتة صغيرة تسبح الله، يدوسها بقدمه،

رأى نملة يسحقها، هناك إنسان كل ما حوله يعتني به، ننهي هذا الموضوع بهذا الحديث :

((وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا، تولى عليكم، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِبَاطِمُ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ))

[الترمذي عن العريضاوي بن سارية]

أيها الأخوة، الحقيقة أن شمائل النبي عليه الصلاة والسلام منهج لنا، وهذه الشمائل ينبغي أن نفتدي بها، أو أن نتخلق بها، لأن النبي عليه الصلاة والسلام هو الإنسان الأول في الأرض:

((سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا))

[أخرجه مسلم عن ابن عمر]

الموضوع العلمي :

الجاذبية نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل :

والآن ننقل إلى الموضوع العلمي، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾

[سورة المرسلات: ٢٥-٢٦]

كفاتاً، مأخوذة من فعل كفت يكفته كفاتاً
ضمه وقبضه، فالأرض من صفاتها
أنها تكفت، أي تجذب وتضم وتقبض،
هذه البطاقة لو تركتها تنجذب إلى
الأرض، لولا أن الله جعل الجاذبية لما
أمكنك أن تتعامل مع الأشياء، أي هناك
أماكن بين الأرض والقمر تتعدم فيها
الجاذبية، فقد يستيقظ رائد الفضاء في



الجاذبية نعمة عظيمة من نعم الله

سقف المركبة لأنه لا يوجد وزن، هناك نعمة لا تخطر على بال واحد منا، أن هذا الشيء تضعه
يبقى في مكانه، لم يبق في مكانه؟ لأنه ينجذب إلى الأرض، هذا الوزن، الوزن هو انجذاب
الشيء إلى مركز الأرض، أنت في الأرض، وزنك ثمانون كيلو، في القمر ثمانية كيلو، الجاذبية

ما رأينا خلافها، شيء طبيعي هذه تضعها تبقى في مكانها، لولا أن الأرض تكفت ما عليها إليها لكانت الحياة مستحيلة، كل واحد له بيت، غرفة الضيوف فيها كراسي وثيرة بمكانها، لو لم يكن هناك جاذبية لوجدت الكراسي في السقف، أحياناً يعرضون في المركبة الفضائية مكاناً ليس فيه جاذبية، حاجات الإنسان بالهواء، يقفز قفزة بصير في السقف، ليس له وزن أبداً، كلمة الوزن تعني الجاذبية، هذه نعمة لا تعدلها نعمة:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾

[سورة المرسلات: ٢٥]

الماء كيف يستقر في البحر إن لم يكن هناك جاذبية؟ الماء مستقر بالبحر، في بيتك، حاجات بيتك، مركبتك، كله مستقر هذا الاستقرار سببه الجاذبية، هذا قانون الجاذبية دقيق جداً، هذا متعلق بالكتلة، ومتعلق بالمسافة، لكن هذا الكون يتحرك لولا الحركة لجمع الكون كله في كتلة واحدة، الأكبر تجذب الأصغر، الكون كله، مئات ألوف مليارات المجرات تصبح كتلة واحدة، لكن ما الذي يحصل؟ كل كوكب يدور، حينما يدور ينشأ من دورانه قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، فيبقى في مكانه، كل شيء يدور من هذا الدوران ينشأ من دورانه قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة فيبقى في مكانه، والدليل انت بوعاء من الماء وأدره، الماء لا ينزل، عندما دار الماء الذي في هذا الوعاء ينشأ من دورانه قوة نابذة، فلولا هذا التوازن بين القوة النابذة و القوة الجاذبة لتجمع الكون كله في كتلة واحدة.

الوزن من نعم الله الكبرى :



والله هناك نعم أيها الأخوة، قد لا تخطر في البال، كل شيء له وزن، وأنت لك وزن، لكن الآن بعد الوصول إلى القمر رواد الفضاء دخلوا بأماكن لا يوجد بها وزن أبداً، والحياة لا تحتل، في بعض المشاهدات حاجات الرائد في السقف، أحياناً رائد الفضاء يستيقظ فيجد نفسه بالسقف، ليس له وزن أبداً، فالوزن من نعم الله الكبرى، في الوزن هناك استقرار، لذلك الله عز وجل قال:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة الأنعام : ١١]

بربكم تمشي أنت فوق الأرض أم في الأرض؟ فوق الأرض، الآية في الأرض، لأن الله عز وجل عدّ الهواء جزءاً من الأرض، الهواء كم يساوي؟ خمسة وستون ألف كيلو متر، هذا الهواء يدور مع الأرض، تصور الهواء لا يدور مع الأرض، ما الذي يحصل؟ ينشأ عواصف وأعاصير، سرعتها ألف و ستمئة كيلو متر في الساعة، لا تبقى شيئاً على وجه الأرض، أحياناً تجد موجة رياح شديدة، سرعتها مئة وخمسة وعشرون تهدم بعض المنازل، هناك أعاصير بأمريكا سرعتها ثمانمئة كيلو متر، لا تبقى شيئاً في الأرض، لا بيت، ولا مركبة، ولا شيء، فإذا كان الهواء ثابتاً والأرض تدور معنى ذلك هناك تيار، هناك عاصفة أو زعزعة سرعتها ألف و ستمئة كيلو متر في الساعة، لا تبقى ولا تذر.

أيها الأخوة: قضية الجاذبية من نعم الله الكبرى، لكن هناك شيئاً قد لا ننتبه له، لك وزن والوزن متعلق بالحجم والكثافة وما إلى ذلك.

أرجو الله عز وجل أن يكون هذا الكون بآياته الدالة على عظمة الله سبيلاً إلى معرفته.

والحمد لله رب العالمين